أسس المعرفة العلمية ومجال الميتافيزيقا عند رودولف كارناب.

جمال بوشما

جامعة الجزائر2

ان ما يميز فلسفة الوضعية المنطقية هو اهتمامها بعدة نظريات ترتبط بفكرة المعنى واللامعنى والعناية بلغة قضايا العلم ومنطقه، وهذا ما نجده بالخصوص عند الفلاسفة التحليليين أمثال **جورج ادوارد مور** Moore.لو**برتراند راسل** B Russell والمنطقي الأمريكي **كواين** Quine اللذين يربطون المعنى بالتصور، أو ما نجده عند **فيتجنشتين** wittgenstein. الذي يؤكد على أن معنى اللفظ مرتبط بطريقة استخدامه، و ما نجده عند الوضعيين المناطقة الذين يحصرون معنى القضية في تحقيق صدقها وهو ما نادى إليه كل من **فايزمان، شليك، نيوراث، آير وهمبل وردولف كارناب** الذي كان وفيا لتوجه الوضعية المنطقية والناطق الرسمي لها والذي تحتل نظرية إمكان التحقيق التجريبي لب فلسفته وذلك

ابتداءا من كتابه التركيب المنطقي للغة الى كتابه المعنى والضرورة.

لقد حاول كارناب مدعما بهذه البيئة الوضعية في تفكيره الفلسفي، دراسة أسس المعرفة وقوامها من خلال توجه يذهب إلى أن العديد من المسائل الفلسفية هي مسائل زائفة، وان كان ينظر على أنها مسائل داخلة في نظرية المعرفة. فإذا تسأل المرء : إذا كانت القضايا الميتافيزيقية عديمة المعنى فمن أين جاء إذن قيام مذاهب ميتافيزيقية باستمرار وإثارة مسائل جدلية وهمية طوال عقود من الزمن؟ يجيب كارناب على ذلك بأن العلم ليس هو النشاط الروحي الوحيد الذي يقوم به الإنسان، فهناك نشاطات أخرى مثل: الفن والدين وهكذا فان المذاهب الميتافيزيقية ما هي إلا صور مختلطة غامضة مستمدة من هذه الميادين الثلاثة الميتافيزيقا، الفن، الدين. لدى الميتافيزيقيين حاجة شديدة إلى التعبير عن شعورهم بالحياة لكن ليست لديهم القدرة على القيام بذلك على نحو مناسب، فلديهم ولع بتناول التصورات المجردة وينشدون أحيانا نوعا من التقوى الدينية ومن ثم يتناولون لغة العلم ويعبرون بها عن تجربتهم للعالم ولكن على نحو غير سليم. إنهم لا يؤدون للعلم شيئا. وأما بالنسبة إلى الشعور بالحياة فيقدمون شيئا غير واف لو قورن بما يقدمه كبار أهل الفن، وبالجملة يزعم كارناب أن الميتافيزيقا تعبير غير واف عن الشعور بالحياة، إن الميتافيزيقيين كما

يسميهم التيار الوضعي موسيقيون بغير موهبة موسيقية أو شعراء يفتقدون إلى الملكة الشعرية.

فما هي إذن أسس المعرفة العلمية عند كارناب؟ وما هو مجال الفلسفة بدون الميتافيزيقا عنده؟

إن الهدف الأساسي الذي قامت من أجله أعمال الوضعية المنطقية هو العلم الذي يُدرَس سواء ككل، سواء في فروعه الخاصة ، التصورات، القضايا، البراهين والنظريات (....) ويمكن لنا أن نصف هذا المجال من المعرفة ...كنظرية في العلم وبالضبط كمنطق العلم.[1]

إن المشاكل الكبرى التي شغلت الميتافيزيقا نفسها بها منذ القدم هي في نظر كارناب ليست مشاكل علمية على الإطلاق لان المشكلة تقوم حين تصاغ قضية وينظر هل هي صحيحة أو باطلة، أما إذا كانت القضية بغير معنى، فان المشكلة التي تعبر عنها هي مشكلة وهمية زائفة [(2)].

[1] (Rudolf Carnap, Philosophie des sciences- tome1, Expériences, théories et méthodes, Ed. Vrin, paris, p194.

[(2)] د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 250

تعتبر فكرة المشكلة الزائفة فكرة هامة لدى فلاسفة الوضعية الجديدة، سواء لتأثيرها في كتاب وفلاسفة آخرين، أو لتواتر تكرارها بشكل أو بآخر من خلال كتابات كارناب نفسه، وعلى الرغم من أنها لم تكن الفكرة المحورية في فكر كارناب ونسقه.

الواقع أن أفضل فهم لهذه الفكرة إنما يكون في سياق النظريات التجريبية للمعنى وهذه الفكرة في صورتها الأصلية إنما تقوم مباشرة على أساس ما يشير إليه كارناب باسم (مبدأ فتجنشتين) الخاص بإمكان التحقق، وهذا يؤكد (أن معنى العبارة يقدم بواسطة شروط تحقيقها. وأن العبارة لا تكون ذات معنى إلا أذا كانت (من حيث المبدأ) قابلة للتحقق ولقد أستبدل بمطلب إمكان التحقيق فيما بعد بمبدأ أضعف هو مبدأ إمكان المطابقة أو (إمكان الإثبات confirmabilité) وبوجه عام فان النظرية التجريبية في المعنى ترى أن الألفاظ أو الكلمات إنما تستمد وتشتق معناها عن طريق استيفاء شروط معينة وهذه الشروط يتم التوحيد بينها نوع من الدلالة التجريبية المباشرة وغير المباشرة. هذا ويعتبر كارناب وعدد من التجريبيين المنطقيين الآخرين بعض التعبيرات والعبارات اللغوية والرياضية على أنها ذات معنى (على الرغم من أنها بدون مضمون أو محتوى واقعي) وذلك لاهتمامهم ببنية اللغات التي تصاغ فيها العبارات التجريبية إلا أن كل العبارات الأخرى بخلاف تلك التي تكون ذات دلالة تجريبية وكذا العبارات اللغوية ينبغي اعتبارها على أنها خالية من المعنى أو مجرد لغو.

والعبارات المرفوضة تتضمن أو تحتوي على أغلب العبارات التي تنطوي تحت اسم الميتافيزيقا فضلا عن الكثير من العبارات المتعلقة بالأخلاق والجمال. ولقد كان كارناب يرى أن المشكلات المتعلقة بهذه الميادين (وخاصة الميتافيزيقا إنما تمثل إجابات أو ردودا هي في حقيقتها ليست إلا عبارات خالية من المعنى، وتبعا لذلك فهي ليست مشكلات حقيقية على الإطلاق، أنما مجرد صياغات لها مظهر العبارات المشكلة في حين أنها في الحقيقة، تفتقر إلى المعيار التجريبي أو (البنائي) لكونها ذات معنى [1].

تتضمن نظرية المدلول عند كارناب، شرطين أساسين كمعيار لمدلولية أي حكم :

(أ) أن يكون لكل كلمة ترد فيه مدلول.

(ب) أن تترابط الكلمات ذات المدلول بشكل صحيح، أي حسب قواعد النحو المنطقي التي تحول دون خلط النمط (نظرية رسل). وهناك جانب أخر لهذه النظرية هو معيار قابلية التصديق.

(ج) تكون قضية ما أصلية إذا وفقط أذا كانت دالة صدق القضايا أولية أو ممكنة الإرجاع إلى هذه القضايا التي تعبر عن مشاهدات و ادراكات

---

[1] عزمي إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ص 166

حسية، بكلام أخر تكون القضية ذات مدلول إذا وفقط إذا كانت مترابطة بجمل مشاهدة بحيث يتبع صدقها من صدق هذه الجمل وقد اعتبر كارناب أن الشرطين (أ) و(ب) يعادلان الشرط (ج) وأن هذه الشروط الثلاثة لا تتوافر في الأحكام الميتافيزيقية مما يبرر استبعاد هذه الأخيرة من دائرة الأحكام ذات المدلول.

أما بوبر فيرى أن الشروط الثلاثة أعلاه تتضمن الكثير من الإشكالات التي لم يلحظها كارناب والتي تؤدي في النهاية إلى إزالة الحدود بين الفلسفة والعلم [1].

فأذا تفحصنا الشرط (أ) الكلمات ذات المدلول هي تلك التي يمكن تعريفها تجريبيا، نجد أن هذا الشرط هو صياغة لوجهة النظر الاسمانية التي ترى أن كل الكلمات غير المنطقية هي أسماء أما الموضوع الفيزيائي مفرد مثل (فيزو)أو الموضوعات تشترك في تسمية مثل (كلب) بكلام أخر تعرف كل كلمة إما صدقيا أو تعداديا بحيث يحدد مدلولها بقائمة أو تعداد الأشياء التي تسميها.

---

[1] وداد الحاج حسن، رودلف كارناب نهاية الوضعية المنطقية، ص 86

ولكن في رأي بوبر لا تتناسب هذه اللغة الاسمانية تماما مع الأغراض العلمية، لان كل جملتها تحليلية إما صادقة تحليليا أو متناقضة ولا يمكن التعبير عن جمل مركبة بواسطتها، فالجملة (فيزو) هو (كلب) ستكون صادقة لان (فيزو) كان واحدا من الأسماء التي عددناها عند تعريف كلمة (كلب) ولكن تصبح جملة (تشانكي هو كلب) جملة كاذبة وذلك ببساطة لان تشانكي لم يكن من الأشياء التي عددناها عندما وضعنا قائمة لتعريف كلمة (كلب). أما فيما يتعلق بالشرط (ب) فيقول بوبر أن قبولنا فكرة رسل حول إمكان بناء لغة تتضمن نظرية الأنماط وتكون منها عبارة مثل (أ) هي عنصر في الصنف (ج) عبارة غير مصاغة جيدا وبالتالي فهي ميتافيزيقية وهذا لا يعني أننا لا نستطيع بناء لغات تصبح فيها العبارة أعلاه مصاغة جيدا وبالتالي ذات مدلول بل نستطيع أن نبني لغة تكون فيها هذه العبارة صادقة. ويريد بوبر من وراء ذلك الإشارة إلى أن برهان اللامدلولية الداخلية يجب أن يكون صالحا بالنسبة إلى كل لغة متماسكة وليس فقط بالنسبة إلى كل لغة كافية للعلم التجريبي، فبعض الميتافيزيقيين يؤكد على أن الأحكام الميتافيزيقية تنتمي إلى حقل العلوم التجريبية ولا احد يتخلى عن الميتافيزيقا لأنه أخبر أن أحكامها لا يمكن أن تصاغ ضمن هذه العلوم (أو ضمن لغة مناسبة لتلك العلوم).

وفيما يخص الشرط (ج) المتعلق بمبدأ قابلية التصديق يرى بوبر أن هذا المبدأ يستبعد من مملكة المدلول كل النظريات الفكرية أو (قوانين الطبيعة) لان هذه ليست ممكنة الإرجاع (الرد) إلى تقارير مشاهدة أكثر من تلك المسماة قضايا ميتافيزيقية مزيفة، وهكذا فان معيار المدلولية يقود إلى الفصل الخاطئ بين الميتافيزيقا والعلم.

فالنظريات الحديثة في الفيزياء خاصة نظرية أينشتاين كانت على درجة عالية من الاعتبار والتجريد، وبعيدة جدا عما يمكن مشاهدته بل أن هذا يصدق أيضا على نظرية نيوتن ولا ننسى أن بيكن كان قد اعترض على السستام الكوبرنيكي لأنه لا يتفق مع ما تقدمه الحواس. ومن المعلوم أن كارناب قد اعترف بوضوح بصحة هذا النقد في كتابه (النحو المنطقي للغة) إذ يقول (تم التسليم في البداية بأن كل جملة لكي تكون ذات فحوى يجب أن يكون من الممكن تصديقها بشكل تام.) حسب وجهة النظر هذه لا مكان لقوانين الطبيعة بين جمل اللغة. لذا قام كارناب فيما بعد باستبدال مبدأ القابلية للتصديق بمبدأ أكثر تساهلا هو قابلية التأييد، تكون الفرضية أكثر أو أقل تأييدا أو دحضا بواسطة الدليل. [1]

[1] المرجع السابق، ص 88

ويطرح مورتون وايت (تساؤلا حول الطريقة التي يمكن أن نتخذها للتحقق من صحة قضية ما ؟

إذا كان السؤال حول قضية تخبر شيئا حول إدراك أني (مثلا) الآن أرى مربعا أحمر على ارض زرقاء فيمكن عندئذ اختبار صحة القضية مباشرة بإدراكي الحاضر فإذا كنت أرى الآن حقا (مربعا أحمر على أرض زرقاء) فان القضية يجري التحقق من صحتها بصورة مباشرة بهذه الرؤية وإذا كنت لا أرى ذلك فأن القضية لا تثبت صحتها.

لا شك أنه لا يزال هناك بعض المشكلات الجديدة المرتبطة بالتحقق المباشر والتي هي أكثر أهمية بالنسبة لهذا الموضوع. ان القضية (p1) التي يمكن التحقق من صحتها بصورة مباشرة لا يمكن التحقق منها الا بالتحقق المباشر من جملة قضايا أخرى، مستنتجة من القضية (p2) مع قضايا أخرى قد حرص التحقق منها من قبل. لنأخذ القضية (p3) مع قضايا أخرى قد حرص التحقق منها من قبل، لنأخذ القضية (p4): (هذا المفتاح مصنوع من الحديد[1].

هناك طرائق كثيرة للتحقق من صحة هذه القضية، مثلا أضع المفتاح بالقرب من قضيب من المغناطيس، عندئذ أدرك أن المفتاح ينجذب فيحدث هذا الاستنتاج بهذه الطريقة وانفصل ذلك وكما يلي :

---

[1] وايت مورتون، عصر التحليل، ص231

(p1) هذا المقتاح مصنوع من الحديد القضية المطلوب فحصها.

(p2) أذا وضع شيء من الحديد بالقرب من المغناطيس فأنه سوف ينجذب وهذا قانون فيزيائي جرى التحقق منه قبل قليل.

(p3) هذا الشيء قضيب مغناطيس (قضية جرى التحقق منها من قبل).

(p4) المفتاح موضوع بالقرب من القضيب. وهذا نتحقق منه الآن بصورة مباشرة بملاحظتنا.

من هذه المقولات الأربع يمكننا أن نستنتج النتيجة.

(p5) المفتاح سوف ينجذب الآن بواسطة القضيب.

هذه الجملة عبارة عن تنبؤ يمكن فحصه بالملاحظة، إذا نظرنا فإننا نلاحظ الجذب أو نلاحظه في الحالة الأولى نجد حقيقة ايجابية، حقيقة التحقق من صحة القضية موضع البحث، وفي الحالة الثانية يكون لدينا حقيقة سلبية حقيقة على عدم صحة القضية.

في الحالة الأولى لم يفرغ من فحص القضية p1، يمكن أن نعيد الفحص بواسطة قضيب المغناطيس أي يمكن أن نستنتج جملا أخرى شبيهة بp5 بمساعدة المقولات ذاتها التي مر ذكرها أو بمقولات شبيهة لها بعد ذلك أو بدلا من ذلك يمكن أن نجري فحصا بالاختبارات الكهربائية، أو بالاختبارات الميكانيكية أو الكيماوية أو البصرية إذا كانت الحقائق كلها

تظهر ايجابية في هذه الاختبارات الأخرى فان اليقين بشأن صحة القضية p1 يزداد بالتدريج ولن نلبث أن نصل إلى درجة من اليقين كافية لجميع الأغراض العلمية أما اليقين المطلق لا يمكن أن نبلغه أبدا. إن عدد الحقائق التي يمكن استنتاجها من p1 بمساعدة القضايا الأخرى التي تم التحقق من صحتها أو يمكن التحقق من صحتها بصورة مباشرة وهو عدد غير محدود، بناءا على ذلك يوجد دائما في المستقبل إمكان إيجاد حقيقة سلبية مهما كان أحتمالها ضعيفا وهكذا فالقضية p1 لا يمكن أبدا التحقق من صحتها بصورة كاملة ولهذا السبب تدعى فرضية[1].

أما فيما يخص الجانب الفلسفي الصرف من عمل الحلقة فقد تركزت الجهود على توضيح المشكلات الفلسفية التقليدية وذلك بنزع قناعها الميتافيزيقي لإظهارها كمشكلات زائفة من جهة ومحاولة تحويلها من جهة أخرى إلى مشكلات تجريبية تخضع بالتالي إلى حكم التجربة، وفي هذا الصدد يقول كارناب: " ليست هناك قضايا ولا نظريات ولا أنساق تبقى للفلسفة، بل كل ما هنالك منهج للتحليل المنطقي."[1]

---

[1] المرجع السابق، ص233

2- Rudolf Carnape, the Elimination ofmetaphysics through logical analysis of langage, in A J Ayer, p 77.

إن مهمة العمل الفلسفي هي توضيح المشكلات والألفاظ وليس طرح الألفاظ الفلسفية خاصة ومنهج هذا العمل التوضيحي هو المنهج التحليلي المنطقي) هذا المنهج يمكننا في رأي أعضاء الحلقة عموما وكارناب بالخصوص من رسم حد فاصل وواضح بين نوعين من الأحوال :

الأول يشمل صيغ العلم التجريبي وهذه يمكن ملاحظة معناها بالتحليل المنطقي، أي بردها إلى ألفاظ أكثر بساطة تحمل مباشرة على المعطى التجريبي الحسي. أما النوع الثاني : أي الألفاظ الميتافيزيقية التي يظهرها التحليل كألفاظ من غير مدلول، فهي لا تقول شيئا ولا تناقش شيئاً بل تعبر عن إحساس بالحياة. لا تنكر الوضعية المنطقية أهمية هذا النوع الثاني ولكنها تضعه تحت مظلته الوحيدة المشروعة، الفن. أما إلباس هذا الإحساس لباس لغة النظريات فينطوي على مخاطر كثيرة.

إذن تحاكم الميتافيزيقا الآن لا على أساس ما يمكن معرفته، كما هو الحال مع كانط، بل على أساس ما يمكن النطق به، فإذا قال الميتافيزيقي : (يوجد اله) لا نقول له : (ما تقوله كاذب) بل نسأله (ما الذي تعنيه بقولك) فهذه لا تشير إلى أي معطى حسي وبالتالي فهي مستبعدة من دائرة القول العلمي، فالميتافيزيقي لا يعرف في الواقع ما يطلق عليه اسم (اله)، ولكن يواصل

باستمرار في استعمال اللفظ على أساس اعتقاده في امتلاك المعنى الحقيقي له و مدلوله المحدد والمعلوم[1]

على العموم يمكن القول أن هنالك خطآن أساسين في النظريات الميتافيزيقية .

الاول : اعتمادها اللغة العادية التي تفتقر الى الوضوح والدقة المنطقية والتي تستخدم الصورة اللفظية نفسها لأغراض مختلفة. الاسم مثلا، لتشير إلى الأشياء (المكتب) والى الصفات(اللون) والى العلاقات (موقعه من الغرفة) .... وهذا أمر يؤدي إلى الكثير من الخلط ويخلق كيانات لا وجود لها.

الخطأ الثاني : يقوم على أن الفكر قادر بالاستناد إلى ذاته ومن دون استخدام أي معطى تجريبي الوصول إلى معارف واستنباط مضامين جديدة انطلاقا من وقائع معطاة (في حين يظهر البحث المنطقي على العكس، أن أي استدلال عقلي ليس سوى انتقال من ألفاظ إلى أخرى لا تتضمن شيئا غير ما هو موجود مسبقا من الألفاظ الأولى (تحصيل حاصل).

إذا ليس من الممكن التوسع في الميتافيزيقا انطلاقا من الفكر المحض[2]. وهذا كما يقول كارناب نفسه: " يظهر لي أن الأشياء الوحيدة للعلوم الصورية،

---

[1] Sandra LAUGIER, CARNAP et la construction logique du monde, LIBRAIRIE PHILOSOPHIQUE J VRIN6 ,Place de la Sorbonne5,paris, 2001..P 226

[2] الحاج حسن وداد ، رودلف كارناب،نهاية الوضعية المنطقية، ص45

البرهانية، هي الكم والعدد، وأن كل المحاولات من أجل توسيع هذا النوع من المعرفة الأكثر كمالا وراء حدوده هي سفسطة محضة وأوهام (...) وكل بحوث الإنسان الأخرى تختص فقط في مسائل الوقائع(fait) والموجود (existence)...فإذا أخذنا بين أيدينا أي مؤلف، في علم العقائد أو الميتافيزيقا السكولاستكية مثلا، ونتساءل: هل يحتوي على استنتاجات صورية حول الكم أو العدد؟ لا. هل يحتوي استنتاجات تجريبية حول مسائل الوقائع (fait) والموجود؟ لا. إذا ارموه في النار، لأنه لا يحتوي إلا على السفسطة والأوهام."

فالميتافيزيقا كما تبين لنا من خلال تحليل أسس المعرفة العلمية عند كارناب عبارة عن مجهود فكري لا جدوى يرجى منه، فان كان لها دور فهو في توجيه الفكر البشري لمدة قرون من الزمن إلى مشكلات وهمية ومبنية على أشباه قضايا لا أساس لها ولا تخدم لا العلم ولا الفن، وهذا الأخير الذي لطالما كانت على محكه وفي جواره لكن دون أن ترتبط معه بعلاقة جدية.